

التمثلات الاجتماعية للرموز الدينية و دورها في الحفاظ على الهوية - رؤية نظرية تحليلية -

عيسى فاطمة الزهرة<sup>1</sup>، مولاي حاج مراد<sup>2</sup>

<sup>1</sup> باحثة دكتوراه في العلوم الاجتماعية ، جامعة محمد بن احمد وهران 2،

aissaf928@gmail.com

<sup>2</sup> بروفيسور ، جامعة محمد بن احمد وهران 2

القبول: 2024.12.17

الإستلام: 2024.12.05

ملخص: ان ثقافة المجتمع نسيج من الرموز ، و لا يمكن فهم هذا الأخير فهما علميا حقيقيا و وافيا إلا من خلال دراسة الوحدات و العناصر الرمزية المؤلفة لذلك النسيج ، فالرموز أبدعها المجتمع ، و يشترك في تحديد معانيها أفراد مجموعة ما ، و خاصة الرموز الدينية التي تعرف بهوية الجماعة المحلية و تجسدها ، و يعتبر البحث في الرمزية اليوم مطلبا أكاديميا مهما ، خاصة في علاقته مع الهوية ، و التي تتميز بطابعها الاجتماعي ، و من خلال رؤية نظرية تحليلية نقدم في هذه الورقة العلمية تحليل التمثلات الاجتماعية للرموز الدينية في محاولة لشرح العلاقة بينها و بين الهوية من خلال اسهامات علماء الاجتماع و الأنثربولوجيون، و هذا لتوضيح أهمية الرمزية عموما و الدينية خصوصا في تفكيك التمثلات الاجتماعية و ضبط علاقتها بالهوية من جهة و الرمزية من جهة أخرى .

**الكلمات المفتاحية :** التمثلات الاجتماعية، الرموز الدينية ، الهوية.

**Abstract :**Our society's culture is a fabric woven from symbols . A true and comprehensive scientific understanding of this fabric can only be achieved through studying the symbolic units and elements that compose it .symbols are created by society and their meanings are collectively determined by members of a particular group. This is especially true of religious symbols , which define and embody the

identity of local communities . researching symbolism today is an important academic pursuit , particularly in relation to identity , which is inherently social . through a theoretical and analytical lens , this research paper analyzes the social representations of religious symbols in an attempt to explain the relationship between these symbols and identity , drawing on the contributions of sociologists and anthropologists. This is to clarify the importance of symbolism in general , and religious symbolism of particular ; in deconstructing social representations and defining their relationship with identity on the one hand, and symbolism on the other.

**Keywords :** religious symbols , social representations , identity.

#### المقدمة:

يعتبر البحث في الهوية مطلباً أكاديمياً مهماً ، خاصة في وضعيات التغير الاجتماعي السريع و البحوث فيها واسعة و لكن لا بد من مناقشة الهوية من عدة أبعاد مختلفة ، و لعل أهمها علاقتها بالرموز الدينية حيث أن الرموز تمثل محورا أساسيا في دراسة و تحليل المجتمعات و الثقافات، و لكن الخوض العلمي في هذا الموضوع محفوف بالمخاطر ، و لهذا يجي تأطير هذا البحث من منطلق موضوعي و هذا لا يتأتى الا بربطه بالتمثلات الاجتماعية للأفراد ، و هذا هو هدف هذه الدراسة الرئيسي أي تحليل التمثلات الاجتماعية و علاقتها بالرموز الدينية في سياق تكوين هوية الأفراد و الجماعات بالمجتمع المحلي و ذلك في إطار الاجابة عن الاشكال التالي : الى أي مدى تساهم التمثلات الاجتماعية للرموز الدينية في الحفاظ على الهوية المحلية ؟

#### 1/2 في مفهوم التمثلات الاجتماعية :

عرف مصطلح "التمثل" في دراسات عديدة قبل دخوله حقل علم النفس و حقل الدراسات النفسية و الاجتماعية ، لهذا نجد هذا المفهوم يتبلور حسب النظريات التي تعمل على توضيح معالمه و الاستفادة مما قد يقدمه في فهم السلوك البشري و التنبؤ به.

و قد ورد مصطلح التمثيل في التنزيل العزيز في سورة مريم : "فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا " (مريم)، أما في لسان العرب لابن منظور يعرف التمثيل من خلال تماثل الشيء :شابهه. و التمثال:الصورة، و الجمع التماثيل . و مثل له الشيء : صوره حتى كأنه ينظر اليه. (منظور، 2005)

و التمثيلات تعتبر نظام يشير بطريقة ما الى مجموعة الأفكار و القيم الخاصة بمجتمع ما ، و هذه التمثيلات تعالجها و تحللها العلوم الاجتماعية كحقائق مستقلة قائمة بذاتها ، كل نظام تمثيلي يمثل طريقة مميزة لتنظيم الواقع . (izard, 2016)

إن التمثيل هو "عملية استرجاع ذهني لموقف أو ظاهرة مؤثرة في حياة الأفراد بواسطة صورة أو رمز أو علامة ، و بالنسبة لقاموس علم الاجتماع تعد التمثيلات الاجتماعية شكلا من أشكال المعرفة الفردية و الجماعية المتميزة عن المعرفة العلمية ، فهي نمط من التفكير التعميمي و الوظيفي من طرف جماعة اجتماعية بهدف التواصل مع محيطها الاجتماعي و بتأثير منه" ، و يرجع الفضل الى "دوركايم" حينما قارن بين "التمثيلات الفردية" و "التمثيلات الجماعية" في مقال مشهور له في مجلة "الميتافزيقا و الأخلاق". (gilles, 1995)

و تقترح د. جودليه تعريف عام لمفهوم التمثيلات الاجتماعية " مفهوم التمثيل الاجتماعي ، يشير إلى شكل من المعارف الخاصة ، هذه المعرفة هي المعرفة العالمية ، التي يبين محتواها سيرورة تشكيلية و عملية معلمة اجتماعيا ، بصفة عامة هو يشير إلى شكل من التفكير الاجتماعي . التمثيلات الاجتماعية هي أشكال للتفكير العملي ، موجهة نحو الاتصال ، الفهم و التحكم في المحيط الاجتماعي ، المادي و الفكري ، و بما أنها كذلك ، فهي تعرض ميزات خاصة من حيث تنظيم المحتويات و من حيث العمليات الذهنية ، و من حيث المنطق . و يرجع الطابع أو السمة الاجتماعية للمحتويات أو لسير التمثيلات الاجتماعية إلى الظروف و السياقات التي تكونت فيها و الاتصالات التي تنتقل من خلالها ،و إلى الوظائف التي تؤديها في التفاعل مع العالم و مع الآخرين ."

. (jodeletp35)

و ببساطة فإن ما ما نفهمه من التعريف السابق لمحتوى التمثل الاجتماعي هو أن التمثل عبارة عن "وجهة نظر" ، متقاسمة محليا بداخل ثقافة ما ، تربط "الذات" من جهة ب "الموضوع" من جهة أخرى. ' فكل تمثل اجتماعي هو تمثل أو تصور لشيء ما \_أي موضوع\_ من طرف فرد ما \_الذات\_ ، ينتج من ذلك أن مميزات كل من الفرد و الموضوع المتمثل سيكون لهما تأثير على ما سيكون عليه هذا التمثل ، فالذات المتمثلة من جهة ، و الموضوع المتمثل من جهة أخرى ، ليسا متميزين تماما ، فمميزات الموضوع ستتملك من طرف الذات ، و يعاد بنائها حسب مميزاتهما' (pétard & autres, 1999) .

و بخلاف التمثلات الاجتماعية المتعلقة بجماعات اجتماعية واسعة و ثابتة في الزمن ، يقترح علم النفس الاجتماعي من خلال موسكوفيسي مفهوم " التمثلات الاجتماعية فيؤكد على ثلاثة عناصر أساسية للتعريف بالتمثل الاجتماعي و هي الانتشار و الإنتاج و الوظيفة أي أن التصور يصبح اجتماعيا اذا كان مشتركا بين مجموعة من الأفراد ، أي واسع الانتشار ، كما أنه يكون اجتماعيا إذا كان إنتاجيا و متبادلا بينهم كي يؤدي وظيفة التواصل و السلوك الاجتماعي . (الدين، 2023)

و منه ننستج أن التمثل هو شكل من أشكال المعرفة الفردية و الجماعية تختلف عن المعرفة العلمية ظن و تحتوي على معالم معرفية و نفسية و اجتماعية متفاعلة فيما بينها ، فالتمثلات تهدف الى اعادة إنتاج الواقع الإجماعي المعاش ، و هذا الانتاج يتعلق بالدرجة الاولى بالرموز فماهي و ما أهم وظائفها و ما علاقتها بالثقافة ؟

## 2/2\_ في الأنثربولوجيا الرمزية :

ما يمكن أن نطلق به هو اعتبار الأنثربولوجيين الرموز 'مقولة ثقافية ' و قد اهتموا بدراسة الرموز و الرمزية في المجتمعات البدائية للتعرف على محددات التفكير الانساني و تصنيف الرموز ، و تحليل محتواها الثقافي و أصبحت هذه الدراسة منهجية و هامة بفضل علماء كبار ساهموا في هذا المجال .

و يتيح 'ليفي ستروس' البدء في تهيئة دراسة المؤسسات الإنسانية على أساس علمي حقيقي و ذلك بإعادة تحديد موضوع العلوم الإنسانية ، و تمثل إنجاز ليفي ستروس

في عزل نظام مستقل ذاتيا عن الواقع ، أي النظام الرمزي ، الذي يوجد مستقلا عن الأشياء التي يرمز إليها و عن البشر الرامزين ، فالمعاني الثقافية كامنة في الأنظمة الرمزية و هذه المعاني مستقلة عن العالم الخارجي و سابقة عليه من ناحية ، و الذوات الإنسانية من ناحية أخرى و هكذا فإن للعالم وجودا موضوعيا فقط في النظام الرمزية التي تمثله . (كلارك، 2015) و منه فإننا نؤكد على ضرورة فصل الأنظمة الرمزية بمحتوياتها الثقافية كموضوع علمي خاص.

، و قد سبق "للفي ستروس" أن كتب : " يمكن اعتبار كل ثقافة" كمجموعة أنظمة رمزية ، يوضع في الدرجة الاولى منها اللغة ، القواعد الزواجية ، الفن ، العلم ، الدين " و عادة ما يضيف بعضهم ، أن نظاما للرموز يتشكل ببطء ، و بشكل عفوي خلال قرون ، و كما يرى "دوركهاهيم" و "موس" و علماء اجتماع اخرون لا يمكن التواصل بين البشر الا الرموز (سيرنج، 1992).

جاء الرمز في التنزيل العزيز في قصة زكريا (ع) " أ لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا". (الكريم، سورة آل عمران، الآية41)

أما في لسان العرب الرمز" تصويت خفي باللسان كالهمس ، و يكون بتحريك الشفتين" ، و قيل : الرمز إشارة و إيماء بالعينين و الحاجبين و الشفتين و الفم و الرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين. (منظور، 2005) و بالعودة لكلمة symbole فإنها مأخوذة من اليونانية sun-bolon و تعني قطعة من الخزف أو الخشب تقسم بين شخصين بيد كل واحد منهما قسم يدل على هوية أحدهما و يثبت طبيعة صلته بالآخر ، و هذان الشخصان يمكن أن يكونا ضيفين أو حاجين ، و بالجمع بين قسمي القطعة يعترف الطرفان بما بينهما من ضيافة أو صداقة .. لذلك يتضمن الرمز معنيي الفصل و الوصل في الوقت نفسه ، إذ أن الستبة préfixe اليونانية sun تعني دائما فعل الجمع . (الجمال، 2007)

يتكون الدين من مجموعة من الأنساق و الدلالات المعاني الرمزية ، فالنظام الديني كما يقول "كليفورد غيرتز" إنما هو "مجموعة الرموز المقدسة المتكثلة و المحبوكة في كلية منظمة " ، و يصف "جون هلينس الدين بكونه مجموعة من النظم الرمزية ، كما تكمن قوة

الرمز بكونه محمل و مشحون بكم هائل من التراث الثقافي و الديني للمجتمعات ذات الصلات المعرفية و الدلالات المشتركة ، فالدين يكشف لنا عمق التجربة الدينية للإنسان و كما يقول الأستاذ عادل "مختار الهواري" يقوم بدور فعال في إعادة تشريع تلك الجماعة بعلاقتها بالأشياء المقدسة ثم من خلالها بما وراء الأشياء . (علي، 2011/2012)

تتخذ الظاهرة الدينية سمتها الجمعية عندما يأخذ الأفراد بنقل خبراتهم المنعزلة إلى بعضهم بعضا ، في محاولة لتحقيق المشاركة و التعبير عن التجارب الخاصة في تجربة عامة ، و ذلك باستخدام مجازات من واقع اللغة ، و خلق رموز تستقطب الانفعالات الدينية المنفرقة في حالة انفعالية مشتركة ، و هذا ما يقود إلى تكوين المعتقد ، و هو حجر الأساس الذي يقوم عليه الدين الجمعي . فهنا تتعاون العقول على وضع صيغة لتجربتها فيجد الأفراد أنفسهم مضطرين و بدافع الميكانيكية التي تربط الفرد إلى الجماعة إلى التماثل معه ، و إلى فهم و تفسير خبراتهم وفقه . (السواح، 2002)

و من هذا نجد الفكرة الرئيسة ل ب. بورديو في عرضه لمفهوم المجال الديني الذي يتضمن التصورات الآتية : يتكون الدين من مجموعة من الفضائل الرمزية التي تتعلق بدائرة المقدس . و حول هذه الفضائل تقوم بعض الجماعات المتخصصة في هذا المجال بالعمل على تقديم تعريف المفاهيم و إعادة نشرها (كلود ريفير )

### الإنتاجات الرمزية كأدوات هيمنة :

يعلي التقليد الماركسي من شأن الوظائف السياسية 'المنظومات الرمزية' و ذلك حسب بنيتها المنطقية و وظيفتها المعرفية ( هذا بالرغم من أن أنجلز يتحدث فيما يخص القانون عن التعبير عن النظام ) .

هذه الوظيفة التي لا علاقة لها بالبنوية الوظيفية بردها إلى مصالح الطبقة السائدة و في مقابل الأسطورة ، التي هي منتج جماعي في حوزة الجماعة بكاملها ، تخدم الأيدولوجيات المصالح الخاصة و تسعى إلى تقديمها كما لو كانت مصالح جماعية تشارك فيها الجماعة بكاملها تعمل الثقافة السائدة على التكتل الفعلي لأفراد الطبقة السائدة لكونها تشمل التواصل المباشر بين جميع أعضائها و تميزهم عما عداهم من الطبقات و هي تساهم بهذا في خلق التكتل الوهمي لأفراد المجتمع في مجموعة و شل الوعي الخاطي للطبقات

المسودة و بالإضافة إلى ذلك فهي تعمل على تبرير النظام القائم و ذلك بإقرار الفروق و إقامة المراتب و تبريرها.

فصل شوفالييه J.chevalier القول في الوظائف التي تؤديها الرموز عامة مستفيدا مما كتبه المتخصصون في مبحث الرمز بقطع النظر عن ضربه أو أهميته و قد قدر للرمز تسع وظائف نعرضها بطريقة تأليفية حسب الترتيب الذي سار عليه الدارس :

-الوظيفية الاستكشافية la fonction exploratoire : يكشف الرمز عن المغامرة الروحية للفرد أو للمجموعة ، و يوسع من مجال الوعي و مداه ، فصورة العجلة \_مرة أخرى\_ يمكن أن تولد لنا متصور الشمس المقدسة ، و يعني ذلك أن الإنسان يستعمل التعبيرات الرمزية كلما عجز عن صوغ تعريفات أو حدود لتصورات عديدة أي أنه يلوذ بالرمز للتعبير عما لا يرى أو عما يخرج عن حدود الوصف .

الوظيفة الاستبدالية la fonction de substitut : إن الرمز من خلال شكل مجازي معين يحل محل سؤال أو صراع أو رغبة يبقى جميعها معلقا في اللاوعي و يحقق الرمز عبر هذه الوظيفة إشباعا أو قل يوفر جوابا يستبدل به سؤالا أو رغبة دفينية في اللاوعي .

الوظيفة الوسيطية fonction médiatrice : يعيد الرمز جمع عناصر الوجود أو النفس المنفصلة و المتنافرة فيمد جسورا بينهما انه يصل بين السماء و الأرض ، و بين المادة و الروح ، و بين الطبيعي و الثقافي ، و بين الواقع و الحلم و بين الوعي و اللاوعي ، و من ثم يمثل الرمز عاملا من عوامل التوازن هو عند الفحص توازن نفسي ، بل انه توازن الشخصية الإنسانية .

وظيفة التوحيد : للرموز حسب "ميرسا الياد " قوى توحيدية ذلك ان الرموز الاساسية تختزل التجارب الإنسانية برمتها. (بزاز ، 2006/2007)

و أخيرا للرمزية دور مهم في بناء الحياة الاجتماعية و يعود الفضل لدوركايم و لرادكليف براون فيما بعد الذي يعتبر أن مرد التضامن الاجتماعي الاشتراك في ذات المنظومة الرمزية لكونه أبرز الوظيفة الاجتماعية 'بالمعنى البنيوي - الوظيفي' للرمزية و هي وظيفة سياسية لا تقتصر على وظيفة التواصل التي يتحدث عنها البيويون ، فالرموز هي أدوات التضامن الاجتماعي بلا منازع ، و من حيث هي أدوات معرفة و تواصل فهي تخول

الإجماع بصدد معنى العالم الاجتماعي ، ذلك الإجماع الذي يساهم أساسا في إعادة إنتاج النظام الاجتماعي ، فالتضامن المنطقي شرط للتضامن الأخلاقي. (بزاز ، 2006/2007) و بالتالي يجب تحليل الرابط الحقيقي بين التمثلات الاجتماعية و الرموز الدينية .

### 3/2\_ التمثلات الاجتماعية و الرموز الدينية:

إن الرمزية هي فن التفكير بالصورة الذهنية كما يقول coomaraswamy ، حيث يحمل مفهوم الرمز في ذاته العلاقة القوية بين واقعه الخاص و الواقع الذي يعينه و لا تكمن أصالة الاحتساب الدماغي ، في معالجة هذه العلامات /الرموز بشكل معقد يفوق المعتاد فقط ، بل في تمثلات تسقط ، في الإدراك ، على العالم الخارجي و تماثل الواقع المدرك أيضا . يسترجع التمثل ، عندما تعاد إثارته بواسطة التذكر و فيه الحضور العيني للموجودات و الأشياء و المواقف التي يتذكر رغم غيابها. (موران، 2013)

ان المسيرة الأنثروبولوجية في دراستها للمحركات الرمزية و بشكل خاص دراسة التخيل الذي على مستواه يتم التبادل الدائم بين الغرائز الذاتية و التمثيلية و بين العوامل الموضوعية الصادرة عن المحيط الكوني و الاجتماعي يفرض وجود تفاعل متبادل يتردد بين الحركة الغريزية و المحيط المادي الاجتماعي و العكس و هذا محور البحث الأنثروبولوجي ، ذلك أن التخيل ماهو إلا هذا المسار الذي يتشكل فيه و يتقوّل تصور شيء ما من خلال الحاجات الغريزية للشخص ، و الذي تفسر فيه التصورات الشخصية بالتكيف المسبق للشخص في محيط موضوعي و هذا لايعني ان الفكرة الرمزية هي تمثيل متسلط بل تمثل يتذكر بشكل ما مواقف التكيف و لا ينسى ، مع أنه يضع التوافق الحالي جانبا و يستثني إدراك الذات ووعي العمليات التمثيلية . (دوران)

ان عملية التصور الرمزي Symbolic representation هي عبارة عن تجريد صفة عامة دون الدخول في تفاصيل دقيقة و كثيرة ، و هذا يعني ان المعلومات أو المعاني المتعلقة بموضوع أو موضوعات معينة يمكن تمثيلها و تخزينها في رمز واحد سواء أكان هذا الرمز كلمة أو شيء أو فعل و بالإضافة الى ذلك يشير الرمز الى تصور معقد مرتبط بقيمة معينة و يستثير لدى مدركة تركيبا معقدا من التصورات و الافكار و الانفعالات التي

تتحول بعضها لتصبح رموزا. (الأسود) و من هذا الاعتبار يعد "كانط" الرمز هو " تمثيل من الخيال و يتطلب الكثير من الفكر ، في حين يقول دوركايم : إن فهم الرمز يتطلب الفهم للتفاعل بين الشكل المادي و المدلولات الاعتبارية الجمعية المرتبطة . (عاجل، 2020)

#### 4/2 بين التمثيلات الاجتماعية و الهوية :

تمثل الهوية عامل من عوامل التكيف الاجتماعي الذي يسعى الأفراد إلى الحصول عليه من خلال العملية المستمرة لبنائها بهدف التواصل مع الآخر من خلال التفاعل الاجتماعي ضمن النسق الكلي الذي يجمعون من خلاله مكونات هوياتهم على شكل تمثيلات ذهنية ، و قبل الشروع في فهم العلاقة بين هذه التمثيلات و الهوية لابد من التوقف عند مفهوم الهوية . يعرف المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية "الهوية" فلسفيا بأنها : " حقيقة الشيء أو الشخص الذي تميزه عن غيره ، أو هي بطاقة يثبت فيها اسم الشخص و جنسيته و مولده و عمله و تسمى البطاقة الشخصية أيضا .

في المعاجم الفرنسية "الهوية" تعني : caractère de deux choses identitiques – contre difference- relation entre deux termes identitiques أي شيئين غير مختلفين ، متطابقين أو في علاقة تطابق . (poche, 1994)

و في المعاجم الإنجليزية "الهوية" identity تعني : the state or fact of remaining the same ; or the condition of being oneself, and not another; or the fact of being the same one as described...etc. إنها حالة بقاء و كينونة . (poche t. r., 1978)

و من المفاهيم التي قدمت للهوية الثقافية ما تبنته منظمة اليونسكو بقولها : " أن الهوية الثقافية تعني أولا و قبل كل شيء أننا أفراد ننتمي إلى جماعة لغوية محلية أو اقليمية أو وطنية ، بما لها من قيم أخلاقية و جمالية تميزها ، و يتضمن ذلك أيضا الأسلوب الذي نستوعب به تاريخ الجماعة و تقاليدها و عاداتها و أسلوب حياتها ، و إحساسنا بالخضوع له و المشاركة فيه ، أو تشكيل قدر مشترك منه ، و تعني الطريقة التي تظهر فيها أنفسنا في ذات كلية ، و تعد بالنسبة لكل فرد منا نوعا من المعادلة الأساسية التي تقرر \_بطريقة اجابية أو سلبية\_ الطريقة التي ننتسب بها إلى جماعتنا و العالم بصفة عامة " (سيف).

كما أن البحوث التي تناولت الذات و الهوية هي مواضيع قديمة في علم النفس ، و قد تناولت كل التيارات بدء بفرويد و يونغ و شيلدر و ينيكوت و سبيتز و اريكسون و كون . أما في نهاية القرن التاسع عشر ، فقد تم الرجوع لمفهوم الهوية من خلال أعمال وليم جيمس الذي أدخل العامل الإجتماعي و الثقافي ، إضافة الى مفهوم الوعي بالذات من طرف كل من ميد و كولي و بالدوين ، إلا أنه في النصف الاول من القرن العشرين أهملت السلوكية هذا الحقل من البحث بتركيزها على السلوك الملاحظ فقط ، و بالمقابل ظهر في أوروبا و تحديدا في فرنسا تيار علم النفس التكويني و الاجتماعي بزعامة كل من فالون و تاب و اتسعت هذه البحوث بفضل اسهامات علم نفس ما بين الثقافات و علم النفس المعرفي الذي أدمج إشكالية الذات في علم النفس التجريبي . (كركوش و زهية، 2016)

يعرف "طاب" Tap.p "الهوية فيقول هي مجموعة من المميزات الجسمية و النفسية ، المعنوية و القضائية ، الاجتماعية و الثقافية التي يستطيع الفرد من خلالها أن يعرف نفسه ، أو أن يقدم نفسه و أن يتعرف الناس عليه ، أو التي من خلالها يشعر الفرد بأنه موجود كأنسان له جملة من الأدوار و الوظائف و التي من خلالها يشعر بأنه مقبول و معترف به كما هو من طرف الآخرين أو من طرف جماعته أو الثقافة التي ينتمي إليها . (p, 1979).

تم التأكيد منذ "موسكوفيتشي" على العلاقة المتلازمة بين التمثلات الاجتماعية و آليات الهوية *mécanismes identitaires* و من بعده نهجت ثلاث نظريات لدراسة هذه العلاقة ، و أظهرت كلها أن التمثلات تتدخل في السيرورات التي تشكل الهوية و ذلك حسب ثلاث طرق : الأولى لإضفاء علامة مميزة للهوية ، الثانية لتعديل آليات الهوية حتى يتسنى تبرير و توقع نوعية العلاقات و السلوكات المناسبة اثناء التفاعل مع المجموعات الأخرى ، الثالثة لإستعمالها كأداة لتأكيد هوية المجموعة العضوية الاجتماعية. *l'identité endogroupe* ، و في هذا السياق يتحدث الباحثون اليوم عن تمثلات الهوية اذ يعرفها Deschamps و Moliner كمجموعة من " المعارف و المعلومات التي يمتلكها الأفراد عن انفسهم و عن أعضاء المجموعة التي لا ينتمون إليها و الذين هم في تفاعل معهم " . (سويسبي، 2018)

فالهوية مفهوم معقد و مركب فمن جهة تمثل الهوية كل ما هو متفرد و من أخرى تمثل الآخر و تشابهنا معه .

يرى ريجارد جنكز أن الهوية الجماعية هي "تصورنا حول من نحن و من الآخرون و كذلك تصور الآخرين حول انفسهم و حول الآخرين "و يرى أن الهوية تدور حول المعاني ، و هذه المعاني تتشكل اجتماعيا و ليست تعبيرا عن الاختلافات الضرورية بين الناس . و هي تتشكل فقط عبر التمييز بين هويات مختلف الجماعات و التي يمكن ربطها بأناس آخرين .و يصل جنكز إلى استنتاج " لن يكون هناك مجتمع بدون هوية اجتماعية " . أما الهوية الفردية ، فيرى ستيوارت هول أن التفاعلية الرمزية هي أفضل مثال على فكرة الهوية الفردية ، فهوية الفرد تتشكل فقط من تفاعل الفرد مع الآخرين . و نظرة الفرد للآخرين تتشكل جزئيا من طريقة نظر الآخرين لذلك الفرد . و حسب رأي فريق التفاعلية أن الناس يستمرون في امتلاك فرديتهم و لكنها ليست فردية متميزة كليا عن المجتمع . فالهوية تعمل كجسر بين الفرد الاجتماعي و الفرد الخالص . و بامتلاك الأفراد لهوية معينة هم إنما يتمثلون قيم و مبادئ معينة تصاحب تلك الهوية ، فهي تسمح لسلوك الأفراد ليكون مشابه من جانب الآخرين و كذلك تجعل السلوك في المجتمع أكثر نمطية و انتظاما . (هولبورن، 2010)

## 5/2\_ جدلية الرمزية بين الثقافة والهوية المحلية :

جاء في لسان العرب في المجلد العشر : يقال ثقف الشيء و هو سرعة التعلم ، و يقول ابن دريد " ثقفت الشيء أي حذفته" و في حديث الهجرة " هو غلام شاب لقن ثقف " رواه البخاري ، أي ذو فطنة و ذكاء ...، و العلامة وجدي فريد يقول في دائرة المعارف القرن العشرين / المجلد الثاني : ثقف يثقف ثقافة : أي حذق و فطن ، و ثقف العلم في أسرع مدة أي أسرع أخذه ، و ثقفه يثقفه ثقف : غلبه في الحذق : صار حاذقا خفيا و ثقف الكلام فهمه بسرعة . (فؤاد)

في تعريف "الثقافة" نجد أفضل المحاولات لكروبر و كلوكهون ، من خلال دراسة قاما بها بتتبع مراحل تطوير الفكرة الحديثة و العلمية للثقافة ، و من خلال تصنيفهما ؛كان أول من عرفها انثربولوجيا هو إي.بي.تايلور في الجملة الافتتاحية في كتابه "الثقافة البدائية"

prilitive culture في العام 1781 و كتب تايلور يقول : "إن الثقافة أو الحضارة \_بمعناها الإثنوغرافي العام \_هي الكل المركب الذي يشمل المعرفة و المعتقدات و الفن و الأخلاقيات و القانون و العرف ، و أي قدرات أو عادات أخرى يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع " ، فالثقافة كل متكامل ، و هي مكتسبة ،و تشمل عمليا كل شيء يمكن أن يفكر فيه الفرد ، باستثناء البيولوجيا . (كوبر ، 2008)

و الرموز التي تشكل أي ثقافة هي وسائل لتوصيل المفاهيم ، كما أن الثقافة هي التي توفر الجانب الفكري في العملية الاجتماعية . لكن الفرضيات الثقافية الرمزية تضطلع بما يفوق مجرد الإفصاح عما عليه العالم ، فهي تقدم أيضا قواعد إرشادية للعمل في هذا العالم . لذا من الضروري التمييز بطريقة تحليلية بين الجوانب الثقافية و الاجتماعية للحياة البشرية ، و التعامل معها على أنها متغيرات مستقلة و إن كانت هذه العوامل يعتمد بعضها على بعض نحو متبادل . (كوبر ، 2008)

يرى إ.كاسيررأن الإنسان يعيش في عالم رمزي ، مرموز ، من صنعه : فكل واقع هو بالنسبة إليه مرموز ؛ و كل الأحكام و التقويمات و الإدراكات متعلقة بالمنظومة الثقافية التي ينتسب إليها . و بكلام آخر ، يتم إدراك كل 'واقع' من خلال منظومة ثقافية ، فكأن الثقافة فهي مقياس كل شيء . (خليل ، 1984)

للمرموز دور مهم في فهم المجتمعات الانسانية ، إذ أن المجتمع و الثقافة كما سنرى لاحقا ينظر اليهما على أنهما أنساق اجتماعية و ثقافية أو رمزية ، و أهم ما يميز الرموز الدينية بغيرها من العلامات و الإشارات الرمزية "أنها تعطي انفعالات عاطفية و توقظ الحواس و النفس و مداركها بالنسبة للمؤمن ، فيكفي علينا ملاحظة سلوك الإنسان المتدين إزاء الرموز الدينية لكي نفهم و ندرك مباشرة قوة الرمز الديني و الفاصل بين الرمز و المقدس و الرموز و العلامات الدنيوية ، مما دعا "مارتن لنجز" بأن يصف الرمز الديني كانعكاس أو ظل للواقع العلوي" . (علي ، 2011/2012) ليس هذا و حسب بل إن الثقافة و تطورها يتوقف على خلق نوع من الرموز و استخدامها و يعبر " ليزلي هوايت " عن هذا في الكلمات التالية : " إن السلوك البشري بكافة أنواعه ينشأ عن استخدام الرموز ،

فالرمز هو الذي حول أسلافنا إلى بشر ، و قد نشأت الحضارات كافة و استمرت عن طريق استخدام الرموز ، فالرمز هو الذي يحول الطفل إلى كائن بشري مكتمل . و نجد أن أنواع السلوك البشري كافة تتكون من استخدام الرموز ، أو تعتمد على استخدام الرموز ، فالسلوك البشري سلوك رمزي ، و السلوك الرمزي سلوك بشري " . (الجوهري و علياء، 2007)

وفي إطار التفاعلية الرمزية ، يتحدث كل من "هارس" و "ليمان" Harris and Lipman حول ما يسمياه **الهندسة الاجتماعية** التي تخلق التفاعل الرمزي داخل الثقافة الواحدة و بين الثقافات و تعمل على التمييز بين ثقافة و أخرى ، و على سبيل المثال يمثل الهلال مرحلة طبيعية من مراحل ظهور القمر و نموه ، لكنه يستخدم كرمز للعالم الاسلامي بينما تعمل 'الهندسة الاجتماعية' على ايجاد حالة أخرى و هي ما يسميه " **الحتمية المعمارية** " و التي تعني علاقة البنى الفيزيائية أي الوجود المادي أو الفيزيائي فيما يتعلق بالجسد أو البيئة المحيطة التي يؤديها الرمز في التفاعل الاجتماعي ، حيث تنشأ هذه العلاقة التبادلية بين الأشكال و الوظائف و الوجود المادي للرموز من خلال السلوك اليومي . (مرام معن الفريحات و آخرون ، ص191)

و منه ثمة علاقة قوية بين الهوية و الثقافة ، بحيث يتعذر الفصل بينهما ، و إذ ما من هوية إلا و تختزل ثقافة ، و قد تعددت الثقافات في الهوية الواحدة ، كما أنه قد تتنوع الهويات في الثقافة الواحدة و ذلك كله في إطار رمزي مستقل .

### 3/ النتائج :

و في الأخير يمكننا القول أن التمثل الاجتماعي ، هو عملية دينامية ذات طابع بنائي للمواضيع التي نعيشها في الواقع من جوانبها النفسية و الاجتماعية ، و هذا بفضل ما يحمل من خصائص على مستوى بنيته ، و هو ميدان يرتبط بمنظومة رمزية يصعب تفكيكها .

ان فهم و معرفة التفاعل الذي يحدث بين الشكل المادي و مدلولاته الجمعية يكون له تأثير في بروز الرمز و الذي يشير الى قيم و معاني مشتركة فمجموعة الخصائص الادراكية الموجودة لدى الانسان ،حيث ان الرموز تعتبر وسيلة لتقليص المعلومات المدركة الموجودة

في مكان محدد او بيئة معينة ، فان الانسان يعمل على ترميز الحافز البيئي و من ثم الاستجابة لهذا الرمز معتمدا على المعنى الذي يلحق بالحافز و الذي يعتمد على الخبرة السابقة ،

يتحقق الرمز بسبب العمليات الادراكية و التي من خلالها يكتسب الشيء دلالات و ارتباطات و التي تفوق طبيعته الاستعمالية المجردة و التي من خلالها يسقط الفرد المعاني المحددة معتمدة على تداعيات نفسية او المعتقدات الثقافية و الاجتماعية الاحداث التي مره بها .  
و لابد من إدراك أن بالمقارنة مع الطبيعة المتفاعلة الحية للفكرة المجردة ، فإن الصورة بوجودها الحسي جامدة ميتة : الصورة هي آخر تجل من تجليات الهوية ، الصورة هي الهوية في مرحلة ما قبل الاندثار او العدم ، الصورة ليست لها روحانية و استمرارية الفكرة /المعنى ، المعنى هو الذي يمنحها الحياة و الاستمرارية ، المعنى هو الذي يمنح الصورة الشفافية و ديمومة الوجود .

و أخيرا يمكن القول أنه صبح من اللازم اليوم ضبط المفاهيم في العلوم الاجتماعية و الأنثربولوجية ، و تفهم و تحليل العلاقات المعرفية و المنهجية بين المصطلحات الرئيسية في هذا النوع الأبحاث ، و لا يمكن الا ان نقول أن البحث في الرمزية و علاقتها بالتمثلات الاجتماعية للأفراد هو من أهم السبل التي تهدينا فهم هويتهم و بالتالي الحفاظ عليها.

## المصادر و المراجع :

ferréol gilles .(1995) .*dictionnaire de sociologie* .paris: armand  
collin.

jodelet d .*représentation sociale : phénomènes , concepts et théorie*  
,in moscovici .op.cit.

jp pétard و ,autres .(1999) .*psychologie sociale* .france: bréal édition.

le robert micro poche .(1994) .*dictionnaire de la langue française* .  
paris.

pierre bonte et michel izard .(2016) .*dictionnaire de l'ethnologie et de*  
*l'anthropologi* .paris: puf.

tap .p .(1979) .*introduction et affirmation de l'identité* .(المجلد 12)  
paris.

the random micro poche .(1978) .new york: ballantine books.

ابن منظور . (2005). *لسان العرب* . مصر : المطبعة الميرية .

إدغار موران . (2013). *المهّنج* (المجلد الجزء 4/3) . المغرب : افريقيا الشرق .

أدم كوبر . (2008). *الثقافة التفسير الانثربولوجي* . (تراجي فتحي، المترجمون) الكويت: عالم  
المعرفة.

السيد حافظ الأسود. المدخل الرمزي لدراسة المجتمع.

القرآن الكريم. (بلا تاريخ).

القرآن الكريم. (الآية 41). سورة آل عمران.

بسام الجمل. (2007). من الرمز الى الرمز الديني (الإصدار 1). صفقاوس: السفير الفني.

بلال موسبيل علي. (2012/2011). قصة الرمز الديني.

بن أحمد نورين فؤاد. مكانة الدين في المجتمع. (جامعة يحيى فارس، المحرر) مجلة

التواصلية ، 10 ، 275.

بن عودة نصر الدين. (2023). دراسة سوسيولوجية للتمثلات الاجتماعية. (المركز

الجامعي مرسلبي عبد الله تيبازة، المحرر) دفاثر البحوث العلمية ، 11 (02)، 981.

جيلبر دوران. الأنثربولوجيا رموزها و أساطيرها.

خليل احمد خليل. (1984). المفاهيم الاساسية في علم الاجتماع . لبنان: دار الحدائة

للطباعة و النشر .

سايمون كلارك. (2015). أسس النبوية \_ نقد لنفي ستروس و الحركة النبوية \_ (الإصدار

1ط). (سعيد العلمي، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

سورة مريم. (بلا تاريخ). القرآن الكريم. الآية 16.

عبد الكريم بزاز. (2007/2006). علم اجتماع بيار بورديو. دراسة لنيل شهادة دكتوراه

العلوم ، 140. الجزائر، جامعة منتوري قسنطينة.

فتيحة كركوش، و مسعودي زهية. (2016). إشكالية الهوية على ضوء التناولات التنظيرية

رؤية تحليلية نقدية. مجلة دراسات انسانية و اجتماعية ، 06.

فراس السواح. (2002). دين الانسان (الإصدار ط4). سوريا: دار علاء الدين.

فيليب سيرنج. (1992). الرموز في الفن -الأديان-الحياة (الإصدار ط1). دمشق: در

دمشق.

كوثر سويسبي. (2018). مقارنة لدراسة السلوك و المواقف و الاتجاهات و فهم آليات الهوية

الاجتماعية. (جامعة تقيس، المحرر) قسم علم النفس ، 8.

محمد الجوهرى، و شكري علياء. (2007). مقدمة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية. القاهرة.

محمد محود الجوهرى. (2009). أسس البحث الاجتماعي. عمان: دار المسيرة.

مرام معن الفريحات و آخرون. (بلا تاريخ). التعبيرات الثقافية و الممارسات الشعبية. (جامعة

الحسين بن طلال، المحرر) بحث انثروبولوجي في مجتمع إقليم البترا ، 191.

ناصر بن سعيد بن سيف. الهوية و الثقافة.

هولمبس و هولبورن. (2010). سوسيولوجيا الثقافة و الهوية (الإصدار ط1). (حاتم حميد

محسن، المترجمون) سوريا: دار كيوان للطباعة.

وائل ابراهيم عاجل. (2020). الرمز كأداة لتحقيق التواصل العمراني. مركز التخطيط

الحضري و الإقليمي للدراسات العليا ، 409.